جحا
في القرى الامامية"
سيرة سياسية جديدة للشخصية الشعبية التاريخية

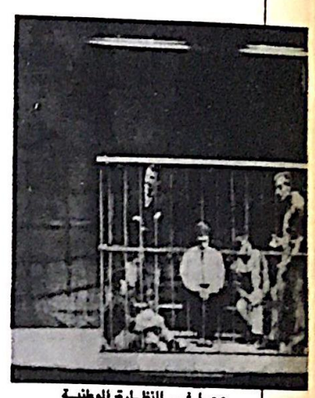
جحا في النظارة الوطنية

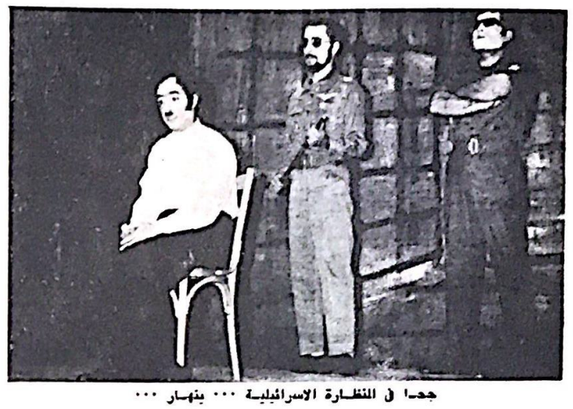
جحا في النظارة الاسرائيلية ... ينهار ...

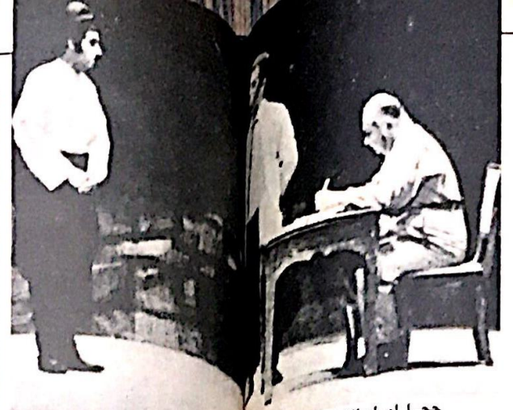
جحا امام التحقيق ...

نبرز اهمية الجمهور في المسرح في الوقت الحاضر اكثر من اي وقت مضى وهذا برزت اهميته بعد الثورة الصناعية في اوروبا ، وازدادت هذه الاهمية يوما بعد آخر سيما بعد التحولات الاقتصادية في العالم نحو الاشتراكية ، فصار فنانو المسرح يحطمون كافة الحواجز التي تفصل ما بين المسرح والجمهور ، وتنوعت الاساليب المسرحية والاتجاهات الفكرية بالمسرح مستهدفة التعبير عن تطلعات الجماهير اسهاما في تشخيص مواقع الخطا وكفاتي الصف التي تحول دون قيام المجتمعات العادلة التي سقط فيها كل أشكال المخاوف الى جانب انهيار قوى الهيمنة والتسلط .

وبقدر ما كان المسرح يؤثر في الاحداث، صارت الاحداث تؤثر اليوم على المسرح تاثيرا كبيرا وتدفعه نحو مواقع جديدة ، مواقع جماهيرية ، حتى غدت المسارح التي لا تتفجر بالاحداث ولا تاثر بها ، صارت مجرد مسارح تجريبية وخاصة .

وفي عالمنا العربي وفي بقعة ما بعد حزيران ظهر المسرح السياسي كمسرح فكري جديد ، اخذ في بدايته يزفر عن اهات الهزيمة وأسى الاغفاءة الطويلة ولوعة الخلع نحو آفاق ليست هي آفاق المعركة الرتيبة التي كان يتجمع فيها العدو مجابيا عناصر اساءته في مجتمعاتنا .

هذا المسرح خضع بالضرورة الى دراسات والى حركة نقدية ومؤتمرات فكرية استطاعت الى حد تخليصه من ازمة الشكوى ودفعته الى تحليل الواقع العربي على المستويين السياسي والاجتماعي باعتبار ان واقع الهزيمة في حزيران كان بسبب طبيعة الانظمة العربية من جهة والانحلال في كيان المجتمعات العربية من جهة ثانية .

ولعل مسرحية « جحا في القرى الامامية » التي كتبها واخرجها جلال خوري على مسرح بعلبك في بيروت تعتبر احدى ظواهر التحول الجديد في المسرح العربي باتجاه سياسي وجماهيري . فجحا، النموذج الشعبي ذو الامتدادات التاريخية عبر كل المجتمعات لم يعد هذا اليوم النمط الهائم ضمن المجتمع الطموح والمتحفز للانتفاضة على واقعه السيء والملىء بشتى التناقضات وشتى انواع التحرك الذي يستهدف اجهاض تطلعاته . فالحكمة الفردية ، والذكاء الخاص ، والرؤية السليمة للامور ، تصبح كلها غير نافعة وغير مؤثرة اذا ما بقيت ضمن سلوك الفرد ومنفصلة عن التحرك العام المنظم والموجه . وهذه في الحقيقة دعوة سلمية وتقدمية تناولتها مسرحية « جحا في القرى الامامية » .

ناقش المؤلف الكثير من الامور التي تتعلق بعلاقة الفرد بالسلطة ، والسلطة بالفرد ، والفرد بالاخرين ، وعلاقتهم به ، وعلاقة كل هؤلاء بالوطن ، والوطن بالمجتمعات الاخرى ، والاخطار التي تحيط به . ناقش هذه الامور عبر حوار سلس ، اعتمد عليه اساسا في عمله هذا ، حتى بدا وكانه — اي الحوار — هدفا وليس وسيلة .

كان المؤلف يريد ان يقول اشياء كثيرة حتى كاد يسقط المسرحية في حكاية حوارية لولا انه انقذها في القسم الثاني وحيث تمكن الاستفادة من الاحداث لطرح وجهة نظره وتاكيد الفكرة الاساسية للمسرحية .

وبالرغم من المضمون النقدي للمسرحية وطرافة بعض شخوصها الا انه لا يمكننا القول انها مسرحية محكمة البناء ، انما كانت اشبه بحكاية عن جحا (معاصر) حتى وقوعه في مصيدة العدو وتعرضه لشتى صنوف التعذيب ، واحساسه التام بالغربة ومن ثم احلامه وشوقه الى ارضه وكل ما فيها .. شوقه حتى الى شرور الاشخاص ، هكذا رايت ، والا فماذا يبرر ظهور الرجال القمعيين ضمن ابناء الشعب وهم يرددون نشيد (موطني) في حين ان التحليل السياسي لاحداث ولواقع العالم العربي يوضح بشكل لا يقبل الشك ان العناصر المتسلطة والتي نكبت الحريات في الوطن العربي تشكل خطورة اكبر من تواجد العدو في المنطقة . لقد وجدت في احاسيس جحا وهو في زنزانته في المشهد الاخير مثالية غير مبررة في احلامه ، واذا كان جحا كما يقول المؤلف (انسانا مسيسا على طريقته) فهذا ايضا لا يبرر لنا رؤياه اذا ما عرفنا ان الفكرة الاساسية للمسرحية تدعو الى انضمام الفرد ضمن الجموعات القادرة على احداث التحول .

المسرح داخل المسرح

وانت تدخل الصاله تلاحظ ان ستاره المسرح مفتوحة وثمة ستارة لمسرح صغير داخل المسرح . وقبل ابتداء المسرحيه يدفاق نشاهد العمال والفنيين يدخلون ويخرجون نحو المسرح الصغير ، ثم يتقدم ناظم الستارة ويمسك بخيلها في حين نظما الانوار في الصاله وتخرج الستارة الصغيره عن شخصين على هيئه دمى يمثلان « نيكسون وماير » في لقاء ودي وعواطف متبادله معبرا بذلك عن ارتباط الصهيونية العالمية والمصالح الرأسمالية المتنقلة ، وما ان تنتهي مشهد اللقاء هذا حتى تبدأ الاحداث الواقعيه للمسرحية التي يقول عنها المؤلف « احداث كوميدية في بلاد — الياهو — الوهمية المجاورة لاسرائيل » .

لقد أراد المخرج بهذا الشكل اشعارنا اننا في مسرح ، وان علينا ان نعي ولا ننغمر .. وكنت اتوقع اننا سنستمر بهذا الاتجاه مع المسرحية .. اتجاه تحطيم الحاجز بين المسرح والجمهور ، وايقاظ المشاهد نحو الحقائق التي تدور على المسرح .. في الحياة ، الا ان هذا المسرح الصغير بقي مجرد مسرح مسلوخ عن اتجاه المسرحية وطريقة عرضها . لقد كان المسرح الصغير مبررا في عرض الدمى ، لكنه لم يكن كذلك في المشاهد الاخرى للمسرحية حيث سجن حركة الممثلين واطرها بشكل ضيق وحال دون تدفق انفعالات الممثلين ، وجعلنا نتساءل عن سبب وجود هذا المسرح داخل المسرح ؟!

لم يكن ما اوردناه من ملاحظات يعني هبوطا في مستوى المسرحية بالنسبة للحركة المسرحية العربية الجديدة ، انما اردنا بهذا ان نكون حذرا مسرحيا بمثل النموذج المثقن للمسرح السياسي — وكان ممكنا ان نكون كذلك — لما طرحه من مضمون نقدي جدير بعمل درامي وجدير بمواجهة الجمهور في هذه المرحلة الدقيقة التي تمر بها الثورة العربية الجديدة وطليعتها حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة . والما كان المخرج قد نخطى بعمله هذا الكثير من القسم المسرحية النقدية او الموارنة او الاكاديمية ، فانه حقق بهذا الخطى جدة تساءل الاعجاب وان لم تكن معالم هذا الخطى واضحة للمشرع التي تبرر المسرح والحوارة المستهدفة .

جحا كما يراه المؤلف

يقول جلال خوري، مؤلف المسرحية ومخرجها : « جحا في القرى الامامية .. هي لقاء هذه الشخصية الشعبية مع واقع متأزم . لقاء عالمنا العربي ذي التركيب العقلي البائد مع عالم معاصر علمي وعنيف مزود بوسائل قمعية خبيثة . من التناقض بين العقلية الفردية المتخلفة والواقع الجديد القائم عبر ذرع اسرائيل في المنطقة ، ينطلق نوع من الكوميديا تصبح في نهاية المطاف مريرة .

في هذا الواقع البالغ أعلى درجات التسيب،

جحا :
من السيرة الشعبية ..

سنة ١٧٧٢ مات في قونية (تركيا) المدعو نصرالدين خوجة، رجل ذو حكمة كبيرة دخل الاسطورة، وهو حي لذكاء اجوبته وتصرفاته مع تيمورلنك الرهيب . كان يبدو تارة ابلها ، وتارة اغراءات ومكائد الطاغي المغولي . هذا الموقف ، هذه الحكمة ، وهذا الحذر تجاه المسيطرين . هذا كله يكاد يكون النموذج الوحيد للفرد كي يواجه هذا النوع من المصاعب والغمم .

لم يكن على سبيل الصدف ان تنبت الشعوب شخصية جحا، التي عرفت باسماء متعددة في اماكن متعددة : جحا (البلاد العربية) خوجة ، ملا ، هودجا (آسيا الوسطى) جيهان (مالطة) جوكا (بلاد السكسون) .

عند العرب هناك شخصية ابو الفضن المعروفة قبل جحا . تحمل تقريبا نفس المميزات كما عند الشعوب الاخرى ، مثل سانشو بانسا عند الاسبان ، او بيكفيك عند الانكليز او شفايك عند التشيك او بروودو عند الفرنسيين الخ .. باختصار، فان جحا يعكس نوعيه انسان ذي وجهين : الفردي والشعبي . وفي نفس الوقت الانتهازي الصغير والصامد . انسان غني بكل الطرافة والذكاء والحس السليم ، الصفات التي تتميز بها الطبقات الشعبية .

مخرج تونسي شاب ينفذ افلامًا عن المقاومة

المخرج محمد مطوي

هو مفروت الاسبوع الماضي ، المخرج التونسي الشاب محمد مصطفى المطوي . وزيارة المخرج السينمائي ترمي بالدرجة الاولى ، الى العمل على انتاج فيلمين عن المقاومة الفلسطينية بهدف الرد على النشاط الصهيوني الدعائي الذي ينشط في الغرب ، وسه باريس حيث يقيم ويعمل المخرج الشاب . ومن جهة اخرى ، فان وراء زيارته التي يطوف بها البلاد العربية ، فان الرغبة في التعرف من قرب وعلى كثب ، على الوجوه والرموز السينمائية والمسرحية في الوطن العربي . نتقل هنا بعض اسئلة واجوبة معه :

— اين درست الاخراج السينمائي ، ومتى ؟

■ بدأت دراستي في تونس ، في معهد التمثيل لمدة سنة . قبل هذه الدراسة مارست هواياتي، فمثلت في فيلم « احمد » اخراج بودل شميت عندي آنذاك ١٧ سنة . في اثناء الدراسة قمت بادوار مسرحية صغيرة في مسرحيات متعددة . بعد انتهاء دراستي في معهد التمثيل عام ١٩٦٢ ، غادرت تونس الى باريس . وهناك درست لعامين في معهد المراعار . حتى دخلت معهد التمثيل (فيوكولومبيان) لمدة خمس سنوات (تمثيل واخراج مسرحي اضافة الى السينما) ، وقد مثلت في مسرح المعهد ، عدة مسرحيات اهمها : لوكريس بورجيا ، لفيكتور هيجو . عرضت هذه المسرحية في المانيا ، النمسا ، بوفوسلافيا، رومانيا ، بلجيكا .

كما درست لمدة سنة في كلية المسرح العالمي بباريس ١٩٦٤ — ٦٥ . خلال اعوام دراستي ، اضطررت للعمل في الاذاعة والتلفزيون بنشاطات مختلفة . حتى ان ظروف العيش الصعبة دفعتني للعمل في الدعايات والاعلانات . قبل مغادرتي لتونس كونت جمعية الشباب السينمائي التونسي عام ١٩٦٠ . تسلمها بعدي احسان زريبي وبن رمضان . وعبر ذلك انتجت افلاما تجريبية. تجربة الجمعية كادت تنتهي ، وانا الان ممنوع من دخول تونس .

— ما هي الافلام التي عملت بها ؟

■ نفذت أول شريط سينمائي كممخرج وممثل فيلم تجريبي صور في باريس . وقصة الفيلم رمزية ، دون مادة واقعية ، وان كانت تتضمن رؤيا واقعية . مدة الفيلم ٢٠ دقيقة ، وقد نال جائزة شرف في مهرجان « دبنار » عام ١٩٦٧ .

الشريط الثاني : الشوارع . اجريت تصويره في تونس ١٩٦٦ . الفيلم يعطينا صورة عن حي « جبل الاحمر » ٪ وهو حي شعبي بائس . وقته ١٠ دقائق . اكملته بعد سنتين في باريس ،وعرض في مهرجان مارينباد ١٩٦٨ . الفيلم ينقل بدقه الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية للحي ، الذي يمثل جانبا هاما من جوانب تونس . طلبته منى وزارة الانباء التونسية . فرفضت عندما سمحوا لي بالتصوير ، ظنوا اني ساصور فيلما دعائيا .

الشريط الثالث : البحث ، ٣٧ دقيقة .ناطق بالفرنسية ، وبعض حواره عربي . الافلام الثلاثه ناطقة بالفرنسية . عرض لاول مرة في متحف السينما الفرنسية ، واثار جدلا في الجمهور ، بسبب الفكرة السياسية للفيلم . شرطنا بعض صورة عن حياة العرب في حي نانتير ، بباريس. وهذا اعتبره اهم افلامي ، ربما لانه الاخير ، وقد وقد عرض لاول مرة في متحف السينما الفرنسية.

— ماذا عن مشروع الفيلم الفلسطيني ؟

■ منذ عامين فكرت بالموضوع . ان صمود المقاومة وتعاظم فعلها . اثارني ومن جهة اخرى، اصبح عندي نزوع للرد على التوجه الصهيوني في الافلام التي تنتج في الغرب . وانا عازم على انجاز عملي فنيا ، بكل طاقاتي ، بالاضافة الى اني حريص على ان يشمل الفلم الجوانب السياسة والعسكرية ، ثم الانسانية للمقاومة. الفيلم الاول اريده شريطا روائيا طويلا ، بالالوان . وينطق بعدة لغات . واتمنى لو ان الفدائية الفلسطينية ليلى خالد ، تشارك في التمثيل ، كما كان يحدث في الجزائر ، اذا كانت الجزائريات المقاتلات يشاركن في الافلام . هذا مع حرصي التام على ابراز البطولة الجماعية . هذا الفيلم — المشروع ، سيكون اسمه : الفلسطينيون يهاجمون .

الفيلم الاخر : انا فلسطيني ، وثائقي ،يصور في مركز تدريب عسكري للفتيان الفلسطينيين ، ومركز اخر مخصص للفتيات الفلسطينيات . ويحكي الفيلم عن اعداد هذه الاجيال للمستقبل، وهو يكمل الاول، وان كان مستقلا عنه. وسينطق الفيلمان بالعربية ، ثم تجري الترجمة الى عدة لغات اجنبية ■

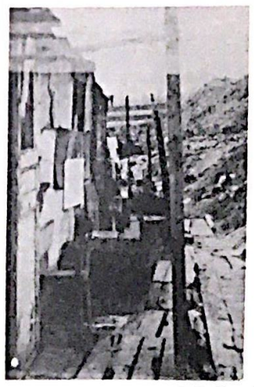

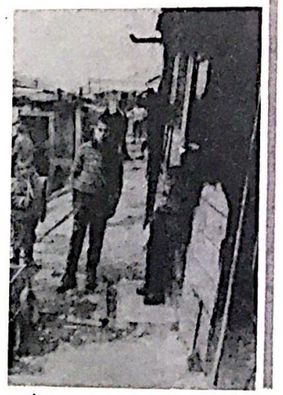
مشهد من فيلم « البحث »

جسر العودة

الى اطفال شعبنا ، امثال الوحشات والقمعه ، الذين لم تكتحل عيونهم برؤيه العام الجديد بعد .

أحبائي !!
انا المصلوب فوق جسور عودتكم
على الشطين ،
وفي قلبي شعار خيامنا الحبلى
بشوق سنين غربتنا « لدير ياسين » ،
انا المحروم من رمسي ومن كفني ،
انا .. المحروم من امسي ومن وطني ،
انا العاري من الاسماء ،
انا المسروق تاريخي ولون غدي ،
انا المشنوق في ظلي وعجز يدي .
احبائي !! .. احبائي !!
انا .. من اين ؟!

***

انا المحروم من ظلي .. فلسطيني
بعين الشمس مصلوب
وجرحي غارق في الذل والطين ،
أحبائي !!
انا من قرية كانت
تعانق حدقه الزمن ،
وتفرح فوق كتف الغيم
على اقدام زيتوني ،
انا من قرية عذراء شرقيه
مهودة السماء — اليوم — منسيه ،
وفوق خرائط الدنيا
اضاعت لون جبهتها
يد السمسار والتجار والحاوي .

***

أحبائي !!
الام تظل ابوابي مشرعة
نحن لعودة الغياب ؟!
الام تظل في شرفات قريتنا
بلا افق خطى الاحباب ؟!
أحبائي !!
الام تظل تحتضر
وتذوي في سعير الشوق والغربه
مناديل الصغار السمر
في الوحدات والبقعه ؟!
الام تظل اعوامي
على افق الرياح الهوج
فوق جسور عودتكم
بعين الشمس مصلوبه ؟ !!

***

احبائي !!
انا المصلوب فوق عقارب الزمن ،
بنبض القلب ارقب عودة السمار للوطن .
وابني من جبيني جسر عودتكم ،
واغرف خطو زحفكم بلا وهن ،
اعانق في لهيب الشمس في الحدقات
شوق الارض والشجر ،
وازرع في جبين الصبح « زغرودة »
ملونه بوجل الذل في امسي
واحلام الصغار السمر
في الوحدات والبقعه .

موسكو — حسين حسن

قاسم حول

ذكرت وانا اخرج من المسرحية قولا للكاتب المسرحي الرومانسي (كارجياله) حيث يقول « ما لية كتابي اذا كان لمائون في المانيه من الذين اكتب لهم لا يعرفون القراءة » . ذلك ان المسرح غدا لم يصبح بعد حاجة ضرورية ، ونحن في الوقت الذي نتأمل من اجل خلق مسرح جماهيري اسياسي علينا ان نسعى في نفس الوقت من اجل خلق جمهور مسرحي واع ومنابع ، وهذه المسؤولية يتحملها النقاد والمؤسسات الفنية والاعلامية والمعاهد والجامعات بنفس الثقل الذي تحمله المسرح في استمراريته وفي مضامينه البارزة المعبرة عن معاناة الجماهير الواسعة في هذه المرحلة الدقيقة التي تمر بها الامة العربية .